Al-Daleel

The Qur'an and the Phenomena Related to Parapsychology

Mustafa Azizi
Assistant Professor in the Department of Philosophy and Theology, Al-Mustafa International University, Iran.
E-mail: m.azizi@aldaleel-inst.com

Abstract

Parapsychology, also known as the science of the paranormal, the science of spiritual abilities, or the science of the sixth sense, is a scientific study of the extraordinary actions and abilities of the mind that affect physical bodies without a direct contact. Parapsychological experiments involve extraordinary abilities such as out-of-body experiences, near-death experiences, hypnotism, telepathy, and the like. Experiments related to parapsychology have several characteristics: they are rare occurrences and do not fit within the usual experimental scientific laws; because they involve matters beyond the senses. These experiments arise from the latent abilities within humans. On the other hand, when we review the Qur'an, we find some extraordinary phenomena and events that occurred to people who were not prophets, which cannot be classified as their miracles; such as the story of Asif bin Barkhiya, the sustenance of Virgine Mary in the sanctuary, and the inspiration to the mother of Prophet Moses, among others. In this article, we conduct a textual-analytical study of these mentioned phenomena in the Holy Qur'an, explore the underlying preconceptions behind these extraordinary phenomena, and study their psychological and spiritual causes and roots; to see the viewpoint of reason and tradition regarding the origins of these extraordinary events and their hidden and apparent sources.

Keywords: parapsychology, soul, metaphysics, telepathy, near-death experiences.

Al-Daleel, 2023, Vol. 6, No. 22, PP .58-80

Received: 15/10/2023; Accepted: 16/11/2023

Publisher: Al-Daleel Institution for Studies and Research

©the author(s)

مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
الدليل Al-Daleel

القرآن والظواهر المتعلّقة بعلم النفس الموازي

مصطفى عزيزي

أستاذ مساعد في قسم الفلسفة والكلام، جامعة المصطفى ﷺ العالمية، إيران.

البريد الإلكتروني: m.azizi@aldaleel-inst.com

الخلاصة

علم النفس الموازي أو علم الخوارق أو علم القابليات الروحية أو علم الحاسّة السادسة دراسة علمية حول الأفعال والقدرات الخارقة للنفس التي تؤثر على الأجسام الفيزيائية دون المساس بها مباشرة. تتمثّل التجارب الباراسيكولوجية في القدرات الفائقة للطبيعة مثل: قدرة الخروج من الجسد، وتجارب الاقتراب من الموت، والتنويم المغناطيسي والتخاطر وما شابه ذلك. تتّسم التجارب المتعلّقة بعلم النفس الموازي بعدّة ميزات: أنّها نادرة الوقوع، ولا تتأطّر هذه التجارب ضمن القوانين العلمية التجريبية المعهودة؛ لأنّها تتعلّق بأمور وراء الحواسّ، وتنبثق هذه التجارب من القدرات الكامنة في نفس الإنسان. من جهة أخرى عندما نراجع القرآن الكريم نجد بعض الظواهر والأحداث الخارقة للعادة التي صدرت من أناس غير الأنبياء بحيث لا يمكن تصنيفها ضمن معجزاتهم؛ مثل قضية آصف بن برخيا، ورزق السيّدة مريم عليها السلام في المحراب، وقصّة الإيحاء إلى أمّ موسى وما شابه ذلك. نقوم في هذه المقالة بدراسة نقلية ـ تحليلية لهذه الظواهر المذكورة في القرآن الكريم، ونبحث عن الافتراضات المسبقة الكامنة وراء هذه الظواهر الخارقة، وندرس أسبابها وجذورها النفسية والروحية؛ لنرى ما وجهة نظر العقل والنقل حول مناشئ هذه الأحداث الخارقة للعادة ومنابتها الباطنية والظاهرية.

الكلمات المفتاحية: علم النفس الموازي، الروح، الميتافيزيقا، التخاطر، تجارب الاقتراب من الموت.

مجلة الدليل، 2023، السنة السادسة، العدد 22، ص. 58 ـ 80

استلام: 2023/10/15، القبول: 2023/11/16

الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث

© المؤلف

CC BY NC

المقدّمة

إنّنا سمعنا طيلة حياتنا بعض التجارب والخبرات الخارقة للعادة والظواهر الغريبة التي صدرت من بعض الناس، أو جرّبنا نحن بأنفسنا بعض هذه الخوارق وواجهناها في حياتنا؛ بل يمكن القول بتواتر هذه التجارب الخارقة للعادة بشتّى أشكالها وصورها التي حصلت لأتباع الملل والنحل وما سمعناه وجرّبناه بأنفسنا طيلة حياة البشرية.

إنّ علم النفس الموازي إحدى فروع علم النفس، ويبحث عن الظواهر الماورائية الصادرة من الإنسان، ويتمثّل في الأمور الغريبة الخارقة للعادة، مثل التخاطر والاقتراب من الموت والرؤية عن البعد والجلاء البصري وما شابه ذلك. قام العلماء والفلاسفة بتحليل مناشئ هذه التصرّفات الغريبة المدهشة التي لا تصدر من خلال المصادر المعرفة المعهودة للبشر، فيمكن تحليل هذه الأحداث والظواهر الماورائية وتبيينها من ثلاثة منظورات:

1ـ المنظور التجريبي الذي يعتمد على التكرار والمشاهدة وإخضاع هذه التجارب للاختبار التجريبي الحسّي. يعتمد هذا المنهج على الإحصائيات والتحليل الإحصائي الدقيق واستلال النتائج من خلال عملية الاستقراء.

2ـ المنظور العقلي الذي يتبنّاه الفلاسفة في دراسة هذه الظواهر الماورائية؛ فإنّهم يرون أنّ النفس الإنسانية بسبب تجرّدها عن المادّة تحظى بقدرات فائقة روحية تقدر في ضوئها على تصرّفات خارقة مدهشة. يرى المفكّرون أنّ مخالفة النفس ومشتهياتها توجب قوّة الإرادة الصلبة، وهذه الإرادة الناجمة عن اليقين والاعتقاد الراسخ تسبّب صدور هذه الظواهر والسلوكيات الغريبة من الإنسان.

3ـ المنظور الديني والنصوص الدينية التى تركّز على قوّة النيّة واليقين القلبي؛ يقول الإمام الصادق عليه السلام: «مَا ضَعُفَ بَدَنٌ عَمَّا قَوِيَتْ عَلَيْهِ النِّيَّةُ» [الحرّ العاملي، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج 1، ص 53].

وعندما نراجع القرآن الكريم نرى أنّه يحكي عن بعض الظواهر الغريبة والتصرّفات المدهشة التي لم تتحقّق عن طريق أسبابها المعهودة المعتادة. من جهة أخرى ليست هذه الظواهر والأفعال الخارقة العجيبة من سنخ المعجزات التي تصدر من الأنبياء العظام عليهم السلام لإثبات دعوى النبوّة والسفارة الإلهية، بل تصدر هذه الخوارق من أناس غير الأنبياء مثل آصف بن برخيا وصيّ النبي سليمان عليه السلام ووزيره، وكذلك السيّدة مريم عليها السلام، وأمّ موسى عليه السلام،

فيمكن أن يجول في ذهن الإنسان سؤال وهو: لماذا لا نعدّ معجزات الأنبياء ضمن هذه الظواهر الباراسيكولوجية؟ وما الفرق بين المعجزات وهذه التجارب الروحية الخارقة للعادة؟ والميزة الأساسية هي أنّ المعجزة تمتاز من سائر الخوارق للعادة بالتسديد الإلهي والتأييد الربّاني الخاصّ؛ فلذا يقول القرآن الكريم: ﴿**قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾ [سورة إبراهيم: 11]، وكذلك تشترط في المعجزة عجز الناس عن الإتيان بالمعارضة، وضرورة التحدّي، ودعوى النبوّة لمن يدّعيها، بينما لا تشترط هذه الشروط في التجارب الغريبة الصادرة عن نفوس غير الأنبياء عليهم السلام.

تتمثّل هذه الخوارق للعادة المذكورة في القرآن تارةً في صورة "التحريك العقلي"، وأخرى في صورة "المعرفة المسبقة بالشيء قبل حصوله"، ومرّةً ثالثةً في قالب "استجابة الدعاء" أو "الرؤيا الصادقة"، ويجمع هذه الخوارق عنوان شامل وهو "الإدراكات ما وراء الحواسّ" (sensory perceptions-Extra)، وهي بمعنى معرفة الأشياء ونيلها والتصرّف فيها من دون استخدام الآلات والأدوات الحسّية المألوفة.

الأمر الذي يهمّنا في هذه المقالة هو تحليل منشإ صدور هذه الخوارق للعادة؛ وهل مصدرها ومنبعها داخل الروح الإنسانية أو خارجها؟ وهل يمتلك الإنسان قدراتٍ هائلةً نفسيةً وطاقاتٍ فائقةً روحيةً وإرادةً مدعومةً بالإيمان واليقين يقدر في ضوئها على إنجاز خوارق العادة؟ أو لا تأثير ولا دور للروح الإنسانية وقدراتها الخارقة في تحقيق هذه الخوارق، بل الله عزّ وجلّ يعطي هذه القدرات الفائقة لأناس خاصّين من دون مراعاة قابلية روحية أو استعداد نفسيّ فيهم؟

الإجابة المقدّرة التي نحن بصدد تبيينها هي أنّ جميع هذه الخوارق مستندة إلى قوّة الإرادة المنبثقة من نوع خاصّ من العلم والمعرفة والإدراك، وهذا الإدراك المتميّز يبعث الإرادة نحو إنجاز خارق للعادة. وهذا هو نقطة التلاقي بين الظواهر المتعلّقة بالعلم النفس الموازي وبين العلوم الإدراكية؛ إذ نبحث في هذا المقال عن المناهل والمناشئ الإدراكية لخوارق العادة المذكورة في القرآن الكريم.

الجدير بالذكر هو أنّ صدور الأفعال الخارقة للعادة والتصرّفات الغريبة التي تصدر من بعض الناس ليس رهينًا بالتديّن والإيمان بالله تعالى والالتزام بالشريعة والمناسك الدينية، بل المعيار والميزان في نيل هذه الخوارق والظواهر الماورائية هو تفعيل القدرات الذاتية، وتطوير الطاقات الروحية، وازدهار القابليات والاستعدادات الكامنة في النفس الإنسانية؛ لذا يصرّح السيّد

الطباطبائي بأنّ العامل الرئيسي في صدور الخوارق والظواهر الغريبة هو "مخالفة النفس ومشتهياتها الحيوانية":

«والذي يهمّنا التنبيه عليه هو أنّ هذه الأمور جميعًا تتوقّف في وقوعها على نوع من انصراف النفس عن الاشتغال بالأمور الخارجة عنها ـ وخاصّةً اللذائذ الجسمانية ـ وانعطافها إلى نفسها؛ ولذا كان الأساس في جميع الارتياضات النفسانية ـ على تنوّعها وتشتّتها الخارج عن الإحصاء ـ هو مخالفة النفس في الجملة، وليس إلّا لأنّ انكباب النفس على مطاوعة هواها يصرفها عن الاشتغال بنفسها، ويهديها إلى مشتهياتها الخارجة؛ فيوزّعها عليها ويقسّم شعورها بينها، فتأخذ بها وتترك نفسها» [الطباطبائي، الميزان، ج 6، ص 181].

لذا نرى أنّ كثيرًا من الأفعال الخارقة للعادة تصدر من الذين لا يعتنقون ديانةً إلهيةً، وحتّى من أتباع البوذية والسيخية وأتباع كونفوشيوس (Confucius) وما شابه ذلك. والسبب في ذلك تفعيل الطاقات والقدرات الروحية في ضوء مخالفة النفس، وصرفها عن التمتّع باللذائذ الحيوانية والمشتهيات النفسانية. نعم، قد يكون السبب في صدور الخوارق والظواهر الغريبة اتّصال صاحب التجربة بالطاقات والقدرات الشيطانية والاتّصال بالجنّ وتسخيرها وتعلّم العلوم الغريبة وأمثال ذلك.

ولكن يمكن تفعيل الطاقات والقدرات الفائقة الروحية من خلال تهذيب النفس وتزكيتها وتخليصها من شوائب الرذائل النفسية والإيمان بالغيب واليقين الراسخ بالله تعالى وعبوديّته التامّة؛ فلذا حينما ذكر عند النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ عيسى عليه السلام كان يمشي على الماء قال صلى الله عليه وآله: «لو كان يقينه أشدّ من ذلك لمشى على الهواء» [مصباح الشريعة (منسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام، ص 177].

فالحديث يومئ إلى أنّ الأمر يدور مدار اليقين بالله سبحانه وتعالى وإمحاء الأسباب الكونية عن الاستقلال في التأثير، فإلى أيّ مبلغ بلغ ركون الإنسان إلى القدرة المطلقة الإلهية، انقادت له الأشياء على قدره. [الطباطبائي، الميزان، ج 6، ص 187]

المبحث الأوّل: تعريف علم النفس الموازي (Parapsychology)

علم النفس الموازي أو ما وراء علم النفس هو الدراسة العلمية لظواهر معيّنة خارجة عن نطاق الإدراك الحسّي العادي، وهي الخوارق التي لا تخضع للافتراضات العلمية المعروفة.

[Benton, The New Encyclopedia Britannica, p. 1002]

وقد أسّس ج. ب. راين (Joseph Banks Rhine) أوّل مختبر لعلم النفس الموازي في أواخر العشرينيات من القرن العشرين الميلادي بجامعة ديوك في درهام بكارولينا الشمالية بالولايات المتّحدة الأمريكية. وهو علم يثير جدلًا كثيرًا بين علماء النفس. [واتسون، فوق طبيعت، ص 140]

يعدّ بعض علماء النفس علمَ النفس الموازي من العلوم التهميشية الجانبية التي لا تنطبق عليها المعايير العلمية التجريبية بل تخالف المسار الأصلي لعلم الفيزياء؛ وذلك بسبب عدم إخضاع التجارب المرتبطة بعلم النفس الموازي للمعايير التجريبية المألوفة في المختبرات العلمية. ولكن ثمّة محاولات علمية لإخضاع هذه التجارب الروحية للمعايير التجريبية. وقد تتّسم هذه التجارب الخارقة للعادة بعدّة سمات وميزات من جملتها:

1ـ أنّها تجارب نادرة الوقوع وشاذّة وليست تجارب شائعة.

2ـ لا تتأطّر هذه التجارب والخبرات الغريبة الخارقة ضمن القوانين المعهودة المعتادة المكشوفة للبشر؛ بل بقيت هذه التجارب المدهشة الخارجة عن نطاق المادّة والطبيعة أسرارًا ولغزًا غامضةً؛ فلذا تخضع هذه التجارب الغريبة غير المعهودة للاختبار التجريبي في المختبرات العلمية.

3ـ هناك في الأغلب طاقة ميتافيزيقية أو قدرة ماورائية تسبّب تحقّق هذه الظواهر الخارقة في الواقع المادّي.

4ـ يمكن أن تحدث هذه الخوارق في النوم أو في اليقظة، في أجواء معنوية أو غير معنوية، أو تتعلّق بأمور ماضية أو حالية أو مستقبلية، في أشكال وصور علمية أو عملية مثل الإخبار عن المغيّبات أو التحريك العقلي للأشياء من بعيد، أو استجابة الدعاء، أو المعرفة المسبقة بالأشياء وما شابه ذلك.

5ـ أنّ هذه الأحداث والظواهر الخارقة الغريبة لها تأثيرات وتداعيات ملفتة للنظر في الحياة الفردية والاجتماعية.

من جهة أخرى يمكن التعرّف على حقيقة علم النفس الموازي من خلال التعمّق والتأمّل في مصاديق هذا العلم وكيفيّة تحقّقها، ولقد عدّ علماء النفس نماذج مشهورةً لهذا العلم وهي عبارة عن:

أ ـ **تجربة الاقتراب من الموت (Near death experience)**: هي ظاهرة غير معتادة يرى صاحب التجربة ـ المعرَّض للحوادث التي كاد أن يغادر الحياة فيها ـ بعض الأحداث والأمور الغريبة

العجيبة مثل الاجتياز من نفق أبيض منوَّر أو مُظلم حتّى يصل إلى النور الأبيض، أو الالتقاء بأحبابه الموتى، أو الشعور بالاثنينية بين الروح والجسد، والشعور براحة وطمأنينة وبهجة روحية شديدة بحيث يتخلّص من جميع الآلام والمتاعب ومشقّات الحياة الدنيا. صاحب تجربة الاقتراب من الموت لم يمت في الحقيقة، بل هو في حالة خاصّة بين قبض الروح بشكل كامل وبين بقائه في الحياة الدنيوية؛ فتجربة الاقتراب من الموت عملية انفصال مؤقّت وغير تام. ثمّ في بعض الأحيان، يخبر أحد أقرباء صاحب التجربة المتوفّين بأن عليه أن يعود إلى الدنيا ولم تحن ساعته بعد، أو ما يزال هناك مهمّة رئيسية يجب القيام بها.

[Benton, The New Encyclopedia Britannica, p. 1002]

المهمّ في هذه التجارب المقتربة إلى الموت هو أن طروّ حادثة مريرة مثل الاصطدام أو السقوط من مكان مرتفع أو الجلطة القلبية والدماغية وما شابه ذلك يسبّب انفصال الروح المؤقّت من البدن والتحرّر من قيود الجسد والظروف الزمكانية، ثمّ يوجب الإحاطة والاستشراف بكثير من الأمور والأحداث الماضية والمستقبلية التي تجري في هذه الدنيا المادّية. ولا يخفى أنّ هذه التجربة إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على أنّ الإنسان يتمتّع ببُعد ميتافيزيقي روحيّ مجرّد عن المادّة، يقدر به على إدراكات غريبة غير معتادة.

ب ـ التخاطر (Telepathy): وهو عملية نقل الأفكار والرؤى والمشاعر من عقل شخص إلى عقل شخص آخر يبعد كلٌّ منهما عن الآخر مسافةً لا تسمح بالتواصل المعتاد، مثل التواصل باللغة أو بالإشارة. [واتسون، فوق طبيعت، ص 275]

جـ ـ الرؤية عن بعد أو الجلاء البصري: يمكن أيضًا تسميتها بالاستشعار عن بعد، وهي القدرة على وصف حادث ما يقع في مكان بعيد لا يرى بالعين. [المصدر السابق]

د ـ التحريك العقلي (التحريك بالذهن) (Psychokinesis أو telekinesis) تدخل ضمن دراسة ما وراء علم النفس، وهو القدرة على التأثير على العالم المادّي وتحريك الأشياء عن بُعد أو باستخدام قوّة العقل، ودون أن يكون بين الشخص وهذا الشيء أيّ اتّصال مادّي. ويتحقّق هذا الخارق من خلال التركيز العقلي الشديد. [المصدر السابق]

هـ ـ الاستبصار: إدراك الأحداث والأشياء والناس دون استخدام حواسّ السمع والبصر والشمّ والتذوّق واللمس. وهو شكل مهمّ من الإدراك وراء الإحساس. الشخص الذي يمكنه تحديد مكان طفل ضالّ، أو أن يقوم بأفعال مماثلة دون استخدام الحواسّ المعروفة، هو إنسان لديه قدرة على الاستبصار. [المصدر السابق]

و ـ **الإلهام**: يعرّف الغزالي الإلهام قائلًا: «فهو حصول المعرفة بغير سبب ولا اكتساب، بل بإلهام من الله تعالى بعد طهارة القلب عن استحسان ما في الكونين» [الغزالي، مجموعة رسائل، ص 113]، أو ما يلقى فى الروع بطريق الفيض. [الجرجاني، كتاب التعريفات، ص 15]

ز ـ **الرؤيا الصادقة**: هو الاطّلاع على بعض الأسرار والأمور الغائبة عن الحواسّ المرتبطة بزمان الماضي أو الحال أو المستقبل؛ كما حصل لملك مصر زمان يوسف: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ**﴾ [سورة يوسف: 43].

الأمر الذي يجمع بين هذه الخوارق والأمور الخارجة عن الحواسّ هو أنّها تتحقّق من دون الاعتماد على الطرق والأسباب المعتادة المعهودة لدى الناس، ولا يمكن إخضاعها للتجربة العامّة.

المبحث الثاني: القرآن الكريم والظواهر المرتبطة بعلم النفس الموازي

من نظر إلى القرآن الكريم يجد أنّ الله تعالى قد تحدّث عن بعض الظواهر الغريبة والخوارق التي صدرت عن بعض أناس غير الأنبياء، والملفت للنظر أنّ هذه الظواهر والأحداث الغريبة خارجة عن إطار الحواسّ الخمس، ولم تُستخدم في إنجازها الأسباب والأدوات المادّية، نستعرض فيما يلي بعض هذه الأحداث والظواهر العجيبة المدهشة ونقوم بتحليلها:

أوّلًا: قصّة آصف بن برخيا

﴿**قَالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَني أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**﴾ [سورة النمل: 40].

يستفاد من ظاهر الآية أنّ رجلًا من أصحاب النبيّ سليمان عليه السلام ـ وحدّدته الروايات التفسيرية بأنّه آصف بن برخيا وزيره ووصيّه ـ [الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج 7، ص 349] استطاع في ضوء القدرة الفائقة التي يمتلكها أن يُحضر عرش ملكة بلقيس من مسافة شاسعة في طرفة عين، وهذا أمر غريب يمكن إدراجه ضمن القدرة على التحريك العقلي أو تحريك الأشياء من بعيد من دون التوسّل بالآلات والأدوات المعهودة.

يصرّح القرآن الكريم أنّ مصدر هذه القوّة والقدرة الفائقة هو التمتّع بعلمٍ من الكتاب، والمراد بالكتاب الذي هو مبدأ هذا العلم العجيب إمّا جنس الكتب السماوية أو اللوح المحفوظ، والعلم الذي أخذه هذا العالم منه كان علمًا يسهّل له الوصول إلى هذه البُغيَة. وليس هذا العلم من سنخ العلم الحصولي والعلوم العقلية الفكرية التي يكتسبها الناس من خلال التعليم والتعلّم والاكتساب، بل كان هذا العلم من سنخ العلوم الحضورية الشهودية الخاصّة ببعض المستعدّين روحيًّا ونفسيًّا.

وقد ذكر بعض المفسّرين أنّه كان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أجاب، وربّما ذكر بعضهم أنّ ذلك الاسم هو الحيّ القيّوم، ولكن يرفض السيّد الطباطبائي هذا الرأي قائلًا:

«إنّ من المحال أن يكون الاسم الأعظم الذي له التصرّف في كلّ شيء من قبيل الألفاظ ولا المفاهيم التي تدلّ عليها وتكشف عنها الألفاظ، بل إن كان هناك اسم له هذا الشأن أو بعض هذا الشأن فهو حقيقة الاسم الخارجية التي ينطبق عليها مفهوم اللفظ نوعًا من الانطباق، وهي الاسم حقيقةً واللفظ الدالّ عليها اسم الاسم» [الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 13، ص 363].

بالنتيجة ذكر القرآن قصّةً غريبةً عجيبةً، وهي كيفية انتقال عرش عظيم من مكان ناءٍ بعيدٍ جدًّا ـ ويقال إنّه من اليمن إلى فلسطين، وفيها عاصمة حكم النبيّ سليمان عليه السلام، وبينهما مسافة بعيدة ـ بقدرة روحية فائقة لمن تمتّع بعلم من الكتاب. ولا يخفى أنّ هذه القضيّة الغريبة تدلّ على أنّ آصف بن برخيا كان يعرف موضع العرش ومحلّه من دون الذهاب إليه، وهذا يُعدّ نوعًا من العلم بالغيب، وهذا بالإضافة إلى قدرته الفائقة على الإتيان به في طرفة عين.

المهمّ أن ثمّة عاملين رئيسيين في تحقيق هذا العمل:

أ ـ النفس المستعدّة الطاهرة التي تتمتّع بالطاقات والقدرات الهائلة الكامنة علمًا وعملًا.

ب ـ إرادة الله تعالى ومشيئته وفيضه ولطفه؛ فلذا يقول القرآن الكريم بعد إنجاز العمل الخارق: ﴿**فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**﴾. فنسب آصف هذا الخارق إلى فضل الله تعالى؛ فلذا يركّز السيّد الطباطبائي على هذا الجانب التوحيدي قائلًا: «ومن المعلوم مع ذلك أنّ الفعل فعل الله حقيقةً، وبذلك كلّه يتحصّل أنّه كان له من العلم بالله والارتباط به ما إذا سأل ربّه شيئًا بالتوجّه إليه لم يتخلّف عن الاستجابة، وإن شئت فقل: إذا شاءه الله سبحانه» [المصدر السابق]. وهذا لا يتنافى مع القدرة الروحية التي يتمتّع بها آصف؛ إذ يتعلّق فضل الله سبحانه وتعالى بنفوس طاهرة زكيّة مستعدّة لقبوله.

ثانيًا: السيّدة مريم عليها السلام والرزق في محرابها

قال الله تعالى: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [سورة آل عمران: 37].

الجدير في هذه الآية الكريمة عدّة نقاط:

أ- أنّ السيّدة مريم عليها السلام تتمتّع بثلاث خصائص وميزات نفسية وروحية: أوّلًا: كونها محدّثةً لارتباطها بالملائكة وتكلّمهم معها. ثانيًا: اصطفاء الله إيّاها. ثالثًا: تطهير الله إيّاها.

وقد صرّح القرآن الكريم بهذه الخصائص والميزات الثلاث: ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ [سورة آل عمران: 42]؛ فلذا يرجع قوله تعالى: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ**﴾ إلى مقام اصطفائها، ويعود قوله تعالى: ﴿**وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا**﴾ إلى مقام طهارتها. [الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 3، ص 173]

ب- أنّ ذكر "الرزق" بصورة نكرة يدلّ على أنّه رزق متميّز غير معهود ومألوف بين الناس، كما قيل: إنّ زكريّا كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، ويؤيّده أنّه لو كان من الرزق المعهود، لم يقنع زكريّا بقولها: ﴿**هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ في جواب قوله: ﴿**يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا**﴾؛ لإمكان أن يكون يأتيها بعض الناس ممّن كان يختلف إلى المسجد لغرض حسن أو سيّئ. [المصدر السابق، ج 3، ص 174]

والدليل الثاني على أنّ هذا الرزق هو رزق غير معهود، بل ظاهرة خارقة للعادة، هو أنّ النبيّ زكريّا عليه السلام حينما رأى بأمّ عينيه هذه الكرامة الخارقة للعادة بالنسبة إلى مريم عليها السلام - وكان آيسًا من أن يرزقه الله ولدًا لشيخوخته وعقم زوجته - اندلع في قلبه الرَّوح والرجاء والأمل بأن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرّيّةً طيّبةً: ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾ [سورة آل عمران: 38].

فوجود هذا الرزق الخاصّ بصورة غير معهودة يدلّ على أنّه عملٌ خارق للعادة، بعبارة أخرى إنّ هذا الرزق المتميّز لم يحصل عن طريق الاكتساب والاشتراء والطرق المعهودة عند الناس، بل هذا رزق منّ الله تعالى به على مريم في محراب عبادتها؛ فلذا يقول الفخر الرازي: «احتجّ أصحابنا على صحّة القول بكرامة الأولياء بهذه الآية» [الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج 8، ص 207].

وممّا يؤيّد أنّ وجود الرزق في المحراب نوع كرامة وخارقٌ للعادة هو ما ذكره الزمخشري في تفسيره حول بضعة الرسول فاطمة الزهراء عليها السلام قائلًا: «وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّه جاع في زمن قحط فأهدت له فاطمة [عليها السلام] رغيفين وبضعة لحم آثرته بها، فرجع بها إليها وقال: هلمّي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزًا ولحمًا، فبهتت وعلمت أنّها نزلت من عند الله، فقال لها صلى الله عليه وآله: أنّى لك هذا؟ فقالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. فقال [صلى الله عليه وآله]: الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيّدة نساء بني إسرائيل، ثمّ جمع رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته، فأكلوا عليه حتّى شبعوا وبقي الطعام كما هو، فأوسعت فاطمة على جيرانها» [الزمخشري، الكشاف، ج 1، ص 358].

جـ ـ الجدير بالذكر هو أنّ مريم نسبَتْ هذه الكرامة والخارقة للعادة إلى الله جلّ جلاله حين سألها زكريّا: يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا؟ فأجابت: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ؛ وهذا يدلّ على مقام التوحيد الأفعالي الذي تتمتّع به مريم عليها السلام.

فلا يخفى أنّ صدور هذه الكرامة رهين بعاملين:

أولًا: طهارة مريم واصطفائها وقابليتها لتحديث الملائكة إيّاها ولقبول هذا الرزق.

ثانيًا: إفاضة الله تعالى هذا الرزق الغريب العجيب بشكل مستمرّ.

ثالثًا: قصّة أمّ موسى عليه السلام

﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص: 7 - 13].

أخبرتنا هذه الآية الكريمة أنّ الله تعالى أوحى إلى أمّ موسى عليه السلام؛ «وهذا الإيحاء هو التكليم الخفيّ، ويستعمل في القرآن في تكليمه تعالى بعض خلقه بنحو الإلهام والإلقاء في القلب.

ومضمون الآية الكريمة هو: إنّا قلنا بنوع من الإلهام لأمّ موسى لما وضعته: أرضعيه ما دُمتَ لا تخافين عليه من قبل فرعون فإذا خفت عليه ـ أن يطّلع عليه آل فرعون فيأخذوه ويقتلوه ـ فألقيه في البحر وهو النيل على ما وردت به الرواية، ولا تخافي عليه القتل ولا تحزني لفقده ومفارقته إيّاك، إنّا رادّوه إليك بعد ذلك، وجاعلوه من المرسلين، فيكون رسولًا إلى آل فرعون وبني إسرائيل» [الطباطبائي، الميزان، ج 16، ص 10].

الجدير بالذكر هو: أنّه كيف اعتمدت أمّ موسى عليها السلام على هذا الإلهام ورتّبت الآثار عليه وألقت فلذة كبدها في اليمّ؟ وهذا يدلّ على أنها فهمت أنّ هذا الإلهام من الله، وأمرٌ منه تعالى فاطمأنّت إليه.

لا يخفى أنّ أمّ موسى عليها السلام تمتّعت بقابلية روحية خاصّة، واستعداد نفسي متميّز بحيث صارت مستأهلةً للإلهام الإلهي، وقد تحقّقت لها تنبّؤات ومغيّبات عديدة عبر هذا الإلهام، وأخبرها الله من خلال الإلهام الروحي أنّه تعالى يردّ ابنها إليها ويجعلها من المرسلين، وهذا نوع من "المعرفة المسبقة من قبل"، أي معرفة الشيء قبل تحقّقه في الخارج.

رابعًا: الرؤيا الصادقة

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [سورة يوسف: 43].

وكذلك قوله تعالى: **﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [سورة يوسف: 36].

الجدير بالذكر هو:

أ- أنّ الرؤيا الصادقة تعدّ من الظواهر الماورائية التي تخبر عن ما سيحصل في المستقبل أو إخبار عن الأمور الغائبة عن حواسّنا، وهذا الخبر صادق مطابق للواقع، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على قدرة روح الإنسان وطاقتها الغريبة التي تقدر على الاطّلاع على المغيّبات قبل أوان حصولها.

ب- أنّ الرؤيا الصادقة لا تختصّ بالمؤمنين والموحّدين، بل قد تحدث للمشركين مثل ما حصل لصاحبي يوسف في السجن وما حصل لملك مصر أيّام يوسف عليه السلام.

جـ- يعرّف الفلاسفة "الرؤيا" بأنّها انحباس الروح من الظاهر إلى الباطن. [الملّا صدرا، المبدأ والمعاد، ص 467] والرؤيا الصادقة هي ما يشاهده النائم في منامه موافقًا للواقع.

د- يعتقد الحكماء بأنّ حقيقة الرؤيا الصادقة هي الاتّصال بالجواهر العقلية المجرّدة وانتقاش النفس بها؛ فلذا يقول صدر المتألّهين: «إذا انحبست الروح إلى الباطن وركدت الحواسّ بسبب من الأسباب، بقيت النفس فارغةً عن شغل الحواسّ؛ لأنّها لا يزال مشغولةً

بالتفكّـر فيمـا يـورده الحـواسّ عليهـا. فـإذا وجـدت فرصـة الفـراغ وارتفعـت عنهـا الموانـع، اسـتعدّت الاتّصـال بالجواهـر الروحانيـة الشريفـة العقليـة الـتي فيهـا نقـوش جميـع الموجـودات كلّهـا المعـبّرة عنهـا في الـشرع باللـوح المحفـوظ، أو الجواهـر النفسـية والقـوى الانطباعيـة مـن الـبرازخ العلويـة الـتي فيهـا صـور الشـخصيات المادّيـة والجزئيـات الجسـمانية. فـإذا اتصلـت بتلـك الجواهـر قبلـت مـا فيهـا، أعـني نقـش مـا في تلـك الجواهـر مـن صـورة الأشـياء، لا سـيّما مـا ناسـب أغـراض النفـس، ويكـون مهمًّـا لهـا» [المصدر السابق].

هـ ـ أنّ الرؤيـا الصادقـة تـدلّ دلالـةً واضحـةً على تجـرّد الـروح الإنسـانية، وأنّهـا نفخـة إلهيّـة ليسـت مـن سـنخ المـادّة والمادّيـات؛ لأنّ النفـس لـو كانـت مادّيـةً لمـا اطّلعـت على المغيبـات والأمـور الـتي لـم تحصـل بعـد.

و ـ أنّ هويّـة الإنسـان وحقيقتـه الأصليـة بروحـه المجـرّدة لا ببدنـه وجسـده؛ إذ إنّ جميـع الكمـالات الإنسـانية والآثـار والأحـوال الصـادرة مـن الإنسـان مثـل العلـم والقـدرة والإرادة ومـا شـابه ذلـك تعـود إلى روحـه لا إلى بدنـه.

خامسًا: تحديث الملائكة زوجة إبراهيم عليه السلام في قصّة البشارة

مـن جملـة الخـوارق الـتي ذكرهـا القـرآن الكريـم لأنـاس غـير الأنبيـاء "التحديـث"؛ وهـو أن يسـمع صاحـب التجربـة صـوت الملـك لا بقوّتـه السـامعة الظاهريـة، بـل بسـمع قلبـه وليـس التحديـث مـن سـنخ الخطـور الذهـني والخطـور بالبـال، بـل المحـدَّث يسـمع صـوت الملـك في تحديثـه ويعيـه بسـمعه نظـير مـا نسـمعه ويسـمعه مـن الـكلام المعتـاد والأصـوات المسـموعة في عالـم المـادّة، غـير أنّـه لا يشـاركه في مـا يسـمعه مـن كلام الملـك غـيره؛ ولذا كان أمـرًا قلبيًـا. [الطباطبـائي، الميـزان، ج 3، ص 220]

مـن الذيـن حصلـت لهـم تجربـة التحديـث وقـد صرّح بـه القـرآن الكريـم زوجـة إبراهيـم عليه السلام في قصّة البشـارة:

﴿وَلَقَـدْ جـاءَتْ رُسُـلُنا إِبْراهِيـمَ بِالْبُـشْرى قالُـوا سَـلامًا قـالَ سَـلامٌ ... وَامْرَأَتُـهُ قائِمَـةٌ فَضَحِكَـتْ فَبَشَّرْناهـا بِإِسْـحاقَ وَمِـنْ وَراءِ إِسْـحاقَ يَعْقُـوبَ ۞ قالَـتْ يـا وَيْلَـتى أَأَلِدُ وَأَنَـا عَجُـوزٌ وَهـذا بَعْـلِي شَـيْخًا إِنَّ هـذا لَـشَيْءٌ عَجِيـبٌ ۞ قالُـوا أَتَعْجَبِـينَ مِـنْ أَمْـرِ اللهِ رَحْمَـتُ اللهِ وَبَرَكاتُـهُ عَلَيْكُـمْ أَهْـلَ الْبَيْـتِ إِنَّـهُ حَمِيـدٌ مَجِيـدٌ﴾ [سـورة هـود: 69 - 73].

«إنّ الملاك في كون الإنسان محدَّثًا أن يسمع الصوت من غير لزوم الرؤية، فإن اتّفق أن شاهد الملك حين ما يسمع الصوت، فليس ذلك لأنّه محدَّثٌ؛ وذلك لأنّ الآيات صريحة في رؤية بعض المحدَّثين للملائكة حين التحديث، كقوله تعالى في مريم عليها السلام: ﴿**فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَرًا سَوِيًّا ۞ قالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۞ قالَ إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا**﴾ [سورة مريم: 17 - 19]» [الطباطبائي، الميزان، ج 3، ص 221].

يختلج في ذهن الإنسان سؤال مهمّ وهو: كيف يتأتّى لنا أن نميّز أنّ هذا التحديث من المَلِك أو يعدّ من إلقاءات الشيطان؟ وبعبارة أخرى كيف يمكن التفريق بين التحديث الملائكي وبين التحديث الشيطاني؟

تعطينا الروايات معيارًا وميزانًا لهذا التمييز، وهو أنّ تحديث الملائكة يستتبع السكينة والوقار والطمأنينة، بينما يستلزم الإلقاءات والإيحاءات الشيطانية الاضطراب والقلق والتشويش؛ فلذا يقول السيّد الطباطبائي في هذا المجال:

«وأمّا علمه بأنّ ما حدث به من كلام الملك لا من نزغة الشيطان، فذلك بتأييد من الله سبحانه وتسديد، كما يشير إليه ما في رواية محمد بن مسلم: أنّه يعطى السكينة والوقار حتّى يعلم أنّه ملك، وذلك أنّ النزغة الشيطانية إمّا باطل في صورته الباطلة عند الإنسان المؤمن، فظاهر أنّه ليس من حديث الملائكة المكرّمين الذين لا يعصون الله، وإمّا باطل في صورة حقّ وسيستتبع باطلًا، فالنور الإلهي الذي يلازم العبد المؤمن يبيّن حاله ... فالسكينة والطمأنينة عند ما يلقى إلى الإنسان من حديث أو خاطر دليل كونه إلقاءً رحمانيًّا، كما أنّ الاضطراب والقلق دليل على كونه إلقاءً شيطانًا ويلحق بذلك العجلة والجزع والذلّ ونحوها» [المصدر السابق].

المبحث الثالث: خوارق العادة في روايات أهل البيت عليهم السلام

لقد تطرّقت بعض الروايات إلى الظواهر والأحداث المتعلّقة بعلم النفس الموازي ينبغي الإشارة إليها بوصفها أحاديث تفسّر الآيات القرآنية.

الرواية الأولى:

«عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، وَعِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ الْأَحْوَلِ، عَنْ سَلَّامِ بْنِ

الْمُسْتَنِيرِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَدَخَلَ عَلَيْهِ حُمْرَانُ بْنُ أَعْيَنَ، وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ، فَلَمَّا هَمَّ حُمْرَانُ بِالْقِيَامِ قَالَ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: أُخْبِرُكَ ـ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ لَنَا وَأَمْتَعَنَا بِكَ ـ أَنَّا نَأْتِيكَ فَمَا نَخْرُجُ مِنْ عِنْدِكَ حَتَّى تَرِقَّ قُلُوبُنَا وَتَسْلُوَ أَنْفُسُنَا عَنِ الدُّنْيَا، وَيَهُونَ عَلَيْنَا مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ، ثُمَّ نَخْرُجُ مِنْ عِنْدِكَ، فَإِذَا صِرْنَا مَعَ النَّاسِ وَالتُّجَّارِ أَحْبَبْنَا الدُّنْيَا! قَالَ: فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّمَا هِيَ الْقُلُوبُ مَرَّةً تَصْعُبُ وَمَرَّةً تَسْهُلُ. ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: أَمَا إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَخَافُ عَلَيْنَا النِّفَاقَ! قَالَ: فَقَالَ: وَلِمَ تَخَافُونَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ فَذَكَّرْتَنَا وَرَغَّبْتَنَا وَجِلْنَا وَنَسِينَا الدُّنْيَا وَزَهِدْنَا، حَتَّى كَأَنَّا نُعَايِنُ الْآخِرَةَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَنَحْنُ عِنْدَكَ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ وَدَخَلْنَا هَذِهِ الْبُيُوتَ وَشَمِمْنَا الْأَوْلَادَ وَرَأَيْنَا الْعِيَالَ وَالْأَهْلَ يَكَادُ أَنْ نُحَوَّلَ عَنِ الْحَالِ الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا عِنْدَكَ، وَحَتَّى كَأَنَّا لَمْ نَكُنْ عَلَى شَيْءٍ، أَفَتَخَافُ عَلَيْنَا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نِفَاقًا؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: كَلَّا، إِنَّ هَذِهِ خُطُوَاتُ الشَّيْطَانِ، فَيُرَغِّبُكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَاللهِ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي وَصَفْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِهَا لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَمَشَيْتُمْ عَلَى الْمَاءِ، وَلَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ فَتَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَخَلَقَ اللهُ خَلْقًا حَتَّى يُذْنِبُوا ثُمَّ يَسْتَغْفِرُوا اللهَ، فَيَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ مُفَتَّنٌ تَوَّابٌ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللهِ عز وجل: ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾، وَقَالَ: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**﴾» [الكليني، الكافي، ج 2، ص 425].

لذا يقول السيّد الطباطبائي: «نعم، هاهنا حقيقة قرآنية لا مجال لإنكارها، وهو أنّ دخول الإنسان في حظيرة الولاية الإلهية، وتقرّبه إلى ساحة القدس والكبرياء يفتح له بابًا إلى ملكوت السماوات والأرض، يشاهد منه ما خفي على غيره من آيات الله الكبرى، وأنوار جبروته التي لا تطفأ، قال الصادق عليه السلام: لولا أنّ الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم، لرأوا ملكوت السماوات والأرض، وفيما رواه الجمهور عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لولا تكثير في كلامكم وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع، وقد قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [سورة العنكبوت: 69]، ويدلّ على ذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [سورة الحجر: 99]، حيث فرّع اليقين على العبادة، وقال تعالى: ﴿**وَكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾ [سورة الأنعام: 75]، فربط وصف الإيقان بمشاهدة الملكوت، وقال تعالى: ﴿**كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ**﴾ [سورة التكاثر: 5 - 7]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۞ وَما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ ۞ كِتابٌ مَرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ [سورة المطفّفين: 18 - 21]»

[الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 5، ص 270].

الرواية الثانية:

«عِـدَّةٌ مِـنْ أَصْحَابِنَـا، عَـنْ أَحْمَـدَ بْـنِ مُحَمَّـدِ بْـنِ خَـالِدٍ، عَـنِ ابْـنِ مَحْبُـوبٍ، عَـنْ دَاوُدَ الـرَّقِّيِّ قَـالَ: سَـمِعْتُ أَبَـا عَبْـدِ اللهِ عليه السلام يَقُـولُ: اتَّقُـوا اللهَ وَلَا يَحْسُـدْ بَعْضُكُـمْ بَعْضًـا، إِنَّ عِيـسَى ابْـنَ مَرْيَـمَ كَانَ مِـنْ شَرَائِعِـهِ السَّـيْحُ فِي الْبِـلَادِ، فَخَـرَجَ فِي بَعْـضِ سَـيْحِهِ وَمَعَـهُ رَجُـلٌ مِـنْ أَصْحَابِـهِ قَصِـيرٌ، وَكَانَ كَثِـيرَ اللُّـزُومِ لِعِيـسَى عليه السلام، فَلَمَّـا انْتَـهَى عِيـسَى إِلَى الْبَحْـرِ قَـالَ بِسْمِ اللهِ بِصِحَّـةِ يَقِـينٍ مِنْـهُ، فَمَـشَى عَلَى ظَهْـرِ الْمَـاءِ، فَقَـالَ الرَّجُـلُ الْقَصِـيرُ حِـينَ نَظَـرَ إِلَى عِيـسَى عليه السلام جَـازَهُ: بِسْمِ اللهِ بِصِحَّـةِ يَقِـينٍ مِنْـهُ فَمَـشَى عَلَى الْمَـاءِ، وَلَحِـقَ بِعِيـسَى عليه السلام، فَدَخَلَـهُ الْعُجْـبُ بِنَفْسِـهِ، فَقَـالَ هَـذَا عِيـسَى رُوحُ اللهِ يَمْـشِي عَلَى الْمَـاءِ وَأَنَـا أَمْـشِي عَلَى الْمَـاءِ، فَمَـا فَضْلُـهُ عَـلَيَّ؟! قَـالَ: فَرُمِـسَ فِي الْمَـاءِ، فَاسْـتَغَاثَ بِعِيـسَى فَتَنَـاوَلَهُ مِـنَ الْمَـاءِ فَأَخْرَجَـهُ، ثُـمَّ قَـالَ لَهُ: مَـا قُلْـتَ يَـا قَصِـيرُ؟ قَـالَ: قُلْـتُ هَـذَا رُوحُ اللهِ يَمْـشِي عَلَى الْمَـاءِ وَأَنَـا أَمْـشِي عَلَى الْمَـاءِ، فَدَخَلَـنِي مِـنْ ذَلِـكَ عُجْـبٌ، فَقَـالَ لَهُ عِيـسَى: لَقَـدْ وَضَعْـتَ نَفْسَـكَ فِي غَـيْرِ الْمَوْضِـعِ الَّذِي وَضَعَـكَ اللهُ فِيـهِ، فَمَقَتَـكَ اللهُ عَلَى مَـا قُلْـتَ، فَتُـبْ إِلَى اللهِ عزوجل مِمَّـا قُلْـتَ. قَـالَ: فَتَـابَ الرَّجُـلُ وَعَادَ إِلَى مَرْتَبَتِـهِ الَّـتِي وَضَعَـهُ اللهُ فِيهَـا، فَاتَّقُـوا اللهَ وَلَا يَحْسُـدَنَّ بَعْضُكُـمْ بَعْضًـا» [الكليني، الكافي، ج 2، ص 307].

الرواية الثالثة:

قـال الصـادق عليه السلام: «اليقـين يوصـل العبـد الى كلّ حـال سـنيّ ومقـام عجيـب، كذلـك أخـبر رسـول الله صلى الله عليه وآله عـن عظـم شـأن اليقـين حـين ذكـر عنـده أنّ عيـسى ابـن مريـم عليه السلام كان يمـشي على المـاء فقـال: لـو زاد يقينـه لمـشى في الهـواء» [المجلسي، سفينة البحار، ج 8، ص 753].

يقـول السـيّد الطباطبـائي في شرح هـذا الحديـث: «فالحديـث ـ كمـا تـرى ـ يومـئ إلى أنّ الأمـر يـدور مـدار اليقـين بـالله سـبحانه، وإمحـاء الأسـباب الكونيـة عـن الاسـتقلال في التأثـير، فـإلى أيّ مبلـغ بلـغ ركـون الإنسـان إلى القـدرة المطلقـة الإلهيـة انقـادت له الأشـياء على قـدره» [الطباطبائي، الميـزان في تفسـير القـرآن، ج 6، ص 187].

المبحـث الرابـع: الأسـس الأنطولوجيـة للظواهـر الخارقـة مـن منظـور القرآن الكريم

المهـمّ في اسـتعراض النمـاذج الخارقـة للعـادة الـتي تنـدرج تحـت "علـم النفـس المـوازي" هـو بيـان الأسـس والمبـادئ الأنطولوجيـة الـتي تبتـني عليهـا هـذه الظواهـر الغريبـة؛ فـلذا نشـير إلى بعـض هـذه الأسـس مـن منظـور القـرآن الكريـم:

1ـ عدم انحصار الكون والوجود في المادّة والطبيعة والبُعد الجسماني؛ بل الكون وعالم الوجود أوسع نطاقًا من المادّة والمادّيات، ويدلّ على البُعد الأوسع والأكبر للعالم المادّي ممّا نحن اكتشفناه ونعرفه؛ فلذا يقسم القرآن الكريم عالم الإمكان إلى الملك والملكوت: ﴿**فَسُبْحانَ الَّذي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [سورة يس: 83]، فثمّة بُعد ميتافيزيقي غير مادّي للكون يعدّ القسم الأعظم من الوجود.

2ـ يتكوّن الإنسان من الجنبتين: البدنية والروحية؛ ﴿**فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ ساجِدينَ**﴾ [سورة ص: 72]؛ ولا يخفى أنّ الروح الإنسانية من سنخ عالم الملكوت فهي موطن الحياة ومكمن الطاقات والقدرات المتعلّقة بالإنسان، مثل الإرادة والعلم والشعور والقدرة وجميع الكمالات الإنسانية.

3ـ كلّما تطهّرت النفس الإنسانية وتنزّهت عن دنس المادّة والشهوات والميول الحيوانية، كلّما تقوّى الإرادة والمشيئة الإنسانية وترتفع مستوى معرفة الإنسان وعلمه وشعوره، فيقدر في ضوء قوّة الإرادة والعلم على تصرّفات خارقة للعادة؛ لذا يقول السيّد الطباطبائي:

«فجميع هذه الأمور الغريبة المطاوعة لأهل الرياضة والمجاهدة إنّما ترتضع مِن إرادتهم ومشيئتهم، والإرادة ناشئة مِن الشعور، فللشعور الإنساني دخلٌ في جميع الحوادث المرتبطة به والأمور المماسّة له» [الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 6، ص 191].

إنّ هناك موانع وعوائق تعرقل نموّ الطاقات والقدرات الهائلة الروحية وازدهارها، وهي عبارة عن الشواغل العلمية والعملية المتعلّقة بالبدن المادّي؛ فلذا يحصي ابن سينا هذه الحواجز الروحية في جملة واحدة قائلًا: «وشواغلها مِن جهة البدن الإحساس والتخيّل والشهوة والغضب والخوف والغمّ والوجع» [ابن سينا، النجاة، ص 369].

4ـ يمكن الله تعالى العبد بسبب التوغّل في عبوديّته له من تصرّفات خارقة للعادة؛ فلذا يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام لسهل بن حنيف حين قلع باب خيبر:

«والله ما قلعت بابَ خيبر وقذفتُ به أربعين ذراعًا لم تحسّ به أعضائي بقوّة جسديّة، ولا حركة غذائية، ولكن أُيّدتُ بقوّة ملكوتيّة، ونفسٍ بنور ربّها مضيئة» [الطبري، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، ص 191].

5ـ الملفت للنظر أنّ الله تعالى سخّر البدن للروح، وسخّر المادّة للبعد المجرّد الميتافيزيقي للكون؛ إذ إنّ المرتبة الوجودية للمجرّدات والمفارقات أقوى وجودًا وكمالًا من المرتبة الوجودية للمادّيات. فهناك هيمنة وسيطرة للمجرّدات على المادّيات؛ فلذا يقدر أصحاب النفوس القويّة المجرّدة على تسخير عالم المادّة بإذن الله تعالى وحسب مرتبتها الوجودية.

المبحث الخامس: مصدر خوارق العادة ومنشؤها

لا يخفى أنّه تحققّت أنواع وألوان مختلفة من خوارق العادات، فقلّما يوجد منّا من لم يشاهد شيئًا من خوارق الأفعال أو لم ينقل إليه شيء من ذلك، فطريق معرفة الخوارق إمّا المشاهدة والملاحظة المباشرة لها، وإمّا نُقل لنا بعض الظواهر الخارقة الغريبة.

هناك اتّجاهان ومنهجان رئيسيان في تبيين الظواهر الماورائية المرتبطة بعلم النفس الموازي:

أ ـ اتّجاه يؤمن بوجود قوّة ميتافيزيقية وراء عالم الطبيعة يتمتّع بها الإنسان، وهي قدرة فائقة وطاقة هائلة كامنة في روح الإنسان منحه الله تعالى بقدرته ومشيئته.

ب ـ الاتّجاه الذي ينتهج المنهج التجريبي في تحليل الظواهر النفسية. يحاول هذا الاتّجاه أن يُخضع جميع الظواهر الخارقة التي تدور في فلك علم النفس الموازي للمعايير التجريبية وعبر المختبرات العلمية.

بناءً على الاتّجاه الميتافيزيقي، ما منشأ صدور هذه الأفعال الخارقة التي تصدر من أناس غير الأنبياء عليهم السلام بالضبط؟ هناك فروض واحتمالات نستعرضها فيما يلي:

1ـ أنّ الله تعالى هو السبب المباشر والمفيض المباشر لهذه الأفعال والظواهر الماورائية، وهذا الرأي يبتني على نظرية الجبر الأشعري، وهو أنّ الله سبحانه وتعالى سبب مباشر في كلّ مخلوق ومعلول ومسبَّب.

2ـ أن منشأ هذه التصرّفات والأعمال ومنهلها هو الطاقات والقدرات الرهيبة الكامنة في الروح والنفس الإنسانية، وتتجلّى وتظهر هذه الطاقات والقابليات الغريبة والمدهشة للنفس والروح الإنسانية من خلال الرياضات والمجاهدات النفسانية والمراقبات الشديدة. يقول السيّد الطباطبائي: «أثر الرياضة أن تحصل للنفس حالة العلم بأنّ المطلوب مقدور لها، فإذا صحّت الرياضة وتمّت صارت بحيث لو أرادت المطلوب مطلقًا أو أرادته على شرائط

خاصّة كإحضار الروح للصبيّ غير المراهق في المرآة حصل المطلوب» [الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 6، ص 187].

3ـ أنّ المنشأ والمنبع الرئيسي لهذه الخوارق للعادة هو النفس الملكوتية والروح القدسية المؤيَّدة بتأييد الله ومدعومة بقدرته وإذنه، بعد حصول الاستعداد والقابلية فيها. فهناك مبدأ فاعلي وعلّة مؤثّرة مفيضة وهو الله تعالى. وكذلك ثمّة مبدأ قابلي مستعدّ وهو الروح الإنسانية الطاهرة من دنس الشهوات والرغبات والميول الحيوانية، والمنوّرة بنور الإيمان واليقين والاعتقاد الجازم بالله تعالى.

لقد ذكر بعض المفكّرين تقسيمًا جديدًا لمناشئ الخوارق للعادة نستعرضها فيما يلي:

1ـ يرجع قسمٌ من الخوارق إلى أسباب طبيعية معتادة مألوفة، مثل ما يحقّقه بعض أصحاب الخوارق من خلال الممارسة والتدريب والتمرّن؛ كأكل السموم وحمل الأثقال والمشي على حبل ممدود في الهواء إلى غير ذلك.

2ـ ينشأ قسمٌ آخر من خوارق العادة من أسباب طبيعية مستورة على عقولنا ومخفيّة عن أفهامنا، كمن يدخل النار ولا يحترق بها بسبب وجود مانع على بدنه غير معروف لنا، أو كمن يكتب كتابًا لا خطّ عليه ولا يستطيع أن يقرأه أحد إلّا صاحبه؛ وذلك بسبب أنّه كتب بسائل لا يظهر إلّا إذا عرض الكتاب على النار، وإلى غير ذلك من هذه الخوارق.

3ـ ثمّة نوع من خوارق العادة لا يمكن تحويل وإرجاع أسبابها إلى الأسباب الطبيعية المعهودة المعتادة؛ كالإخبار عن بعض المغيّبات وخاصّةً ما يقع منها في المستقبل، والتحريك العقلي، والتخاطر، وإحضار الأرواح، والعلم المسبَق على وقوع الشيء، وما شابه ذلك من الأمور التي تصدر من بعض أرباب الرياضات، وهي أمور غير قابلة للإنكار، شاهدنا بعضًا منها ونقل إلينا بعض آخر نقلًا لا يطعن فيه. ولا يخفى أنّ السبب الرئيسي لهذا القسم الغريب من خوارق العادة هو الإرادة القويّة الناجمة عن العلم والشعور المتميّز الذي يمتلكه بعض الناس من خلال الرياضات النفسية والمراقبات الخاصّة؛ يقول السيّد الطباطبائي حول مصدر هذا القسم من الخوارق: «والتأمّل التامّ في طرق الرياضات المعطاة لهذه الخوارق والتجارب العملية في أعمالهم وإرادتهم يوجب القول بأنّها مستندة إلى قوّة الإرادة والإيمان بالتأثير على تشتّت أنواعها، فالإرادة تابعة للعلم والإذعان السابق عليه، فربّما توجد على إطلاقها وربّما توجد عند وجود شرائط خاصّة، ككتابة شيء خاصّ بمداد

خـاصّ في مـكان خـاصّ في بعـض أعمـال الحـبّ والبغـض، أو نصـب المـرآة حيـال وجـه طفـل خاصّ عنـد إحضـار الـروح، أو قـراءة عـوذة خاصّـة إلى غـير ذلـك، فجميـع ذلـك شرائـط لحصـول الإرادة الفاعلـة، فالعلـم إذا تـمّ علمًـا قاطعًـا أعطـى للحـواسّ مشـاهدةً مـا قطـع بـه، ويمكنـك أن تختـبر صحّـة ذلـك بـأن تلقّـن نفسـك أنّ شـيئًا كـذا أو شـخصًا كـذا حـضر عنـدك تشـاهده بحاسّـتك ثـمّ تتخيّلـه، بحيـث لا تشـكّ فيـه ولا تلتفـت إلى عدمـه ولا إلى شيء غـيره، فإنّـك تجـده أمامـك على مـا تريـد، وربّمـا توجـد في الآثـار معالجـة بعـض الأطبّـاء الأمـراض المهلكـة بتلقـين الصحّـة على المريـض ... فالمـلاك في هـذا التأثـير تحقّـق العلـم الجـازم مـن صاحـب خـرق العـادة» [الطباطبائي، الميـزان في تفسـير القـرآن، ج 1، ص 241].

الخاتمة

لقد اهتمّ الباحثون في علم النفس بجانب بديع وجديد منه وهو علم النفس الموازي (Parapsychology)؛ وهو عبارة عن: الدراسة العلمية لظواهر معيّنة خارجة عن نطاق الإدراك الحسّي العادي، وهي الخوارق التي لا تخضع للافتراضات العلمية المعروفة. تتمثّل الظواهر المتعلّقة بعلم النفس الموازي في: تجربة الاقتراب من الموت (Near death experience)، والتخاطر (Telepathy)، والرؤية عن بعد أو الجلاء البصري، والتحريك العقلي (التحريك بالذهن) (Psychokinesis)، والاستبصار، والرؤيا االصادقة، وتحديث الملائكة وما شابه ذلك. الأمر الذي يجمع بين هذه الخوارق والأمور الخارجة عن الحواسّ هو أنّها تتحقّق من دون الاعتماد على الطرق والأسباب المعتادة المعهودة لدى الناس، ولا يمكن إخضاعها للتجربة العامّة.

ولقد ذكر القرآن الكريم بعض الظواهر والأحداث المرتبطة بعلم النفس الموازي مثل: قصّة آصف بن برخيا، وقصّة الرزق في محراب السيّدة مريم عليها السلام، وقصّة بشارة زوجة إبراهيم عليه السلام وتحديث الملائكة إيّاها، والإلهام إلى أمّ موسى عليه السلام، والرؤيا الصادقة التي حصلت لملك مصر أيّام يوسف عليه السلام ولصاحبيه في السجن.

قمنا في هذه الدراسة ببيان الافتراضات المسبقة للظواهر الباراسيكولوجية بالتفصيل، ثمّ درسنا الأسباب والمناشئ التي تصدر منها هذه الظواهر الخارقة، وتوصّلنا إلى هذه النتيجة إلى أنّ السبب الرئيسي في أغلب هذه الخوارق هو الإرادة القويّة الناجمة عن العلم والشعور المتميّز الذي يمتلكه بعض الناس.

ولكن المستفاد من القرآن الكريم هو أنّ صدور هذه الخوارق رهين بسببين أساسيين:

أ ـ النفوس المستعدّة التي تحظى بطاقات وقدرات فائقة.

ب ـ إفاضة الله وإعطائه تعالى قدرة التصرّف والاطّلاع على المغيّبات، فهناك مبدأ قابلي وهو الروح المستعدّة ومبدأ فاعلي وهو قدرة الله تعالى ومشيئته.

قائمة المصادر

منسوب إلى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، مصباح الشريعة، الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، 1400 هـ.

الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، 1390 هـ.

الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة، 1420 هـ.

الزمخشري، محمود بن عمر، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تصحيح: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ.

ابن سينا، الحسين بن عبد الله، النجاة من الغرق في بحر الضلالات، منشورات جامعة طهران، طهران، الطبعة الثانية، 1379 ش.

الطبري، عماد الدين، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، 1383 هـ.

الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، ناصر خسرو، طهران، الطبعة الرابعة، 1412 هـ.

الغزالي، أبو حامد، مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ.

القمي، عباس، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، الأسوة، قم، الطبعة الأولى، 1414 هـ.

الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، تصحيح علي أكبر غفاري ومحمد آخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، 1407 هـ.

صدر المتألهين، المبدأ والمعاد، تصحيح السيد جلال الدين الآشتياني، منتدى الحكمة والفلسفة في إيران، طهران، 1395 ش.

واتسون، ليان، فوق طبيعت، ترجمەی شهريار بحرانی و احمد ارژمند، امير كبير، تهران، 1394 ش.

الحـر العامـلي، محمـد بـن الحسـن، تفصيـل وسـائل الشـيعة إلى تحصيـل مسـائل الشريعـة، مؤسسـة آل البيـت عليهم السلام، قـم، 1409 هـ.

الطـبرسي، الفضـل بـن الحسـن، مجمـع البيـان في تفسـير القـرآن، تصحيـح: فضـل الله الـيزدي الطباطبـائي، نـاصر خـسرو، طهـران، 1413 هـ.

Benton, William, The New Encyclopedia Britannica, Inc, Publisher, U.S.A, 1974.